مدينة السمارة والصحراء المغربية

انطباعات شاهد عيان

مَلْحَمَةٌ شِعْرِيَّةٌ فِي أَمْجَادِ الصَّحْرَاءِ المَغْرِبِيَّةِ

العلامة محمد أبو الهدى اليعقوبي

الدروس الحسنية رمضان 1444

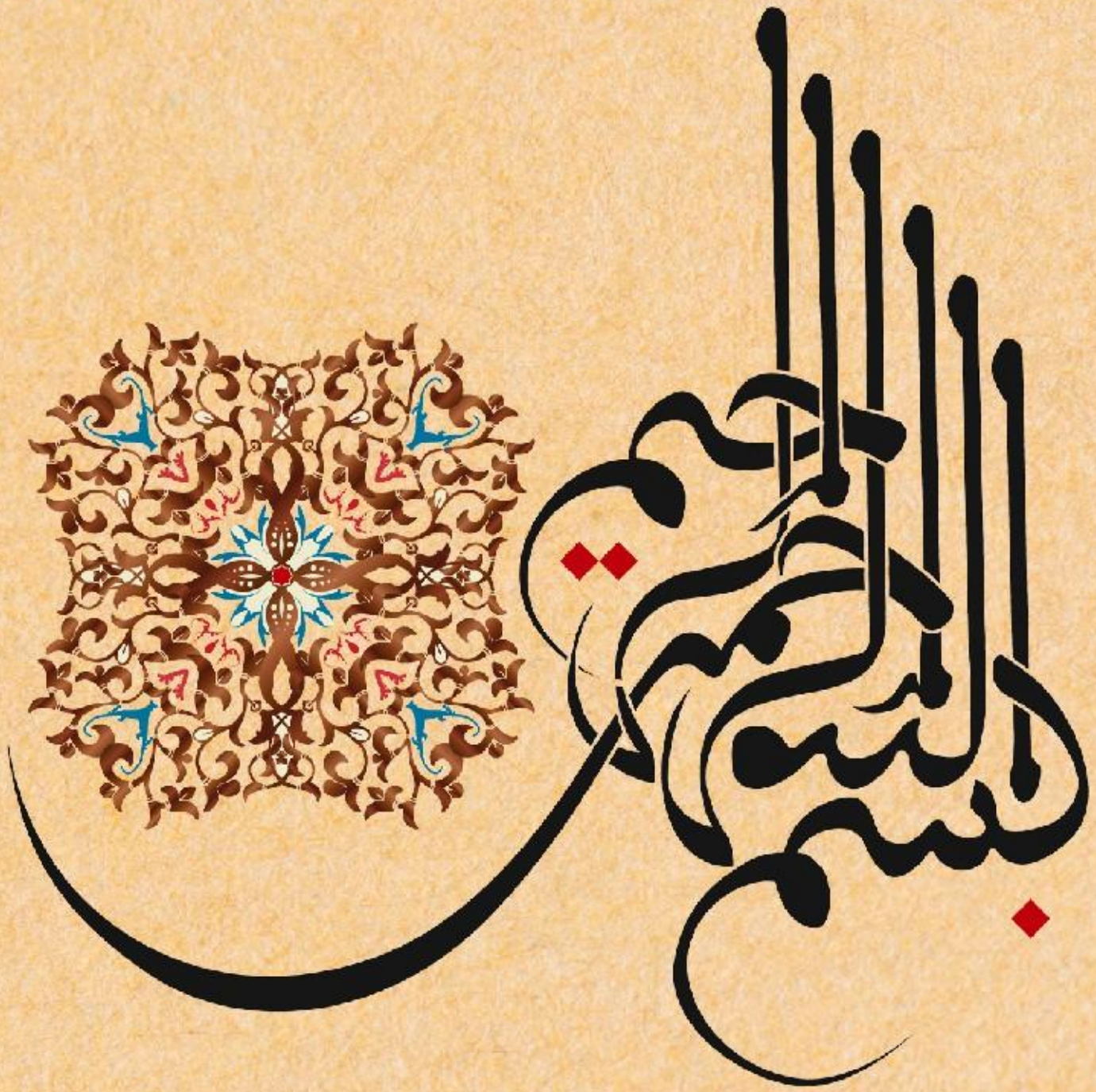
بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى أمير المؤمنين صاحب الجلالة

الملك محمد السادس نصره الله تعالى

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه سيدنا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته أجمعين.

أما بعد ، فقد تشرفت في شهر رمضان سنة 1444 بتلقي الدعوة لحضور الدروس الحسنية بحضرة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله تعالى وأيده . وفي الأنشطة الموازية للدروس الحسنية دعيت مع مجموعة من الفضلاء إلى الصحراء المغربية ، جنوب المملكة المغربية ، حيث زرنا مدينة العيون ومدينة السمارة ومدينة بوجدور ، وألقيت هناك عدة دروس لقيت إقبالًا واسعًا ، وحضرتها حشود غفيرة .

وقد التقيت خلال هذه الرحلة بمختلف شرائح المجتمع المغربي في الصحراء ، واطلعت على ما تذخر به الصحراء المغربية من تاريخ عريق مرتبط بالمملكة المغربية أوثق ارتباط ، وما يحمله هؤلاء المغاربة من أخلاق حسنة وشيم حميدة . ففتح الله تعالى علي بهذه القصيدة ، وقد نظمت أكثرها في مدينة العيون ، وبعد أن تمت وضعت لها هذا العنوان : (مَدِينَةُ السَّمَارَةِ وَالصَّحْرَاءُ المَغْرِبِيَّةُ : انْطِبَاعَاتُ شَاهِدِ عِيَانٍ) . وذلك لأن ما ذكرته في هذه القصيدة من الحقائق ، وما أوردته فيها من الأخبار والأوصاف ، لم يكن نقلًا من الكتب ، ولا رواية زيد عن عمرو ، وإنما هو نتيجة لقاءات واجتماعات ، وثمرة أحاديث ومداولات ، مع أعيان المناطق التي زرناها في المدن المذكورة .

وكنت عزمت في بداية الأمر على أن أكتب مقالًا أُفصِّل فيه الحقائق التي اطلعت عليها خلال هذه الرحلة ، وهي حقائق ناصعة كالشمس في رابعة النهار لا تدع مجالًا للشك بأن الصحراء المغربيةَ مغربيةٌ في النسب والدين والحضارة والثقافة والتاريخ والانتماء . ولكن الله تبارك وتعالىٰ فتح علي بهذا الكلام في الشعر ، فجاء مطلع هذه القصيدة خلال إحدىٰ اللقاءات مع عدد من الأعيان في مدينة السمارة ، ثم يسر الله تعالىٰ إتمامها ، فجاءت في اثنين وثمانين بيتًا ، وهي من البحر الخفيف ، وروي الراء المكسورة المتلوة بهاء الوصل الساكنة . وللشعر أثر في النفس أبلغ من النثر، لما فيه من بديع الاختصار ، وحُسن السبك ، وتخيُّر الألفاظ ، وجمالِ الصور ، لكنه يحتاج إلى شرح وبيان ، فعسىٰ أن يتصدىٰ لشرح هذه القصيدة بعض الفضلاء من الأدباء والمؤرخين ، فيتوسعوا في شرح ما أوجزناه ، ويستفيضوا في إيضاح ما أجملناه ، والله سبحانه الموفق لذلك.

وقد جاءت ههنا الإشارة ، بختم المقدمة بهذه البشارة ، وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: 13].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الرباط 25 رمضان 1444

محمد أبو الهدى اليعقوبي

1. سَـــائِقَ العِيـــسِ إِنْ أَرَدْتَ البِشَـــارَه
جِـــدَّ فِي الـــسَّيْرِ نَحْـــوَ أَرْضِ السِّـــمَارَه

مَعْقِـــلُ المَجْـــدِ وَالمَعَـــالِي قَدِيمًـــا
مَنْبَـــعٌ لِلْفَضَائِـــلِ المُخْتَـــارَه

كَـــمْ إِمَـــامٍ وَعَارِفٍ شَـــادَ فِيهَـــا
مِـــنْ زَوَايَـــا مُجَاهِـــدًا أَعْمَـــارَه

وَوَلِيٍّ أَتَىٰ إِلَيهَـــا مُقِيمًـــا
تَـــارِكًا بَيْنَ أَهْلِهَـــا آثَـــارَه

5. وَشَرِيـــفٍ مِـــنْ آلِ بَيْـــتٍ كِـــرَامٍ
بَـــارَكَ اللهُ فِي رُبَاهَـــا جِـــوَارَه

وَفَقِيـــهٍ عَلَّامَـــةٍ وَأَدِيـــبٍ
خَلَّدَ الدَّهْـــرُ لِلْـــوَرَىٰ أَشْـــعَارَه

قَـــدْ بَنَاهَـــا عَبْـــدُ العَزِيـــزِ حُصُونًـــا
لِجِهَـــادٍ قَـــدْ كَانَ خَيْرَ تِجَـــارَه

لَخَّصَـــتْ فِي بِنَائِهَـــا تَارِيخًـــا
مَغْرِبِيًّـــا تَـــرْوِي لَنَا أَخْبَـــارَه

هِيَ قَلْـــبُ الصَّحْـــرَاءِ وَالمَغْـــرِبِ النَّا
بِـــضُ بِالحُـــبِّ دَائِمًـــا وَالنَّضَـــارَه

10. مَجْمَـــعُ الفَضْـــلِ وَالـــمَكَارِمِ قِدْمًـــا
مَنْهَـــلٌ مَـــاؤُهُ رَوَىٰ أَزْهَـــارَه

وَهْيَ رُكْـــنٌ لِلدِّيـــنِ وَالعِلْـــمِ ، وَعَا
صِمَـــةٌ لِلصَّفَـــاءِ تُهْـــدِي الطَّهَـــارَه

هِيَ كَنْزُ العُلُـــومِ ، رَائِـــدَةُ الفَضْـــ
ـــلِ قَدِيمًـــا ، وَنَبْـــعُ كُلِّ أَثَـــارَهْ

أَرْضُ دِيـــنٍ وَسُـــؤْدَدٍ وَسَـــنَاءٍ
هِيَ لِلعِـــزِّ وَالفَخَـــارِ مَحَـــارَه

أَرْضُ جُـــودٍ بِالمَكْرُمَـــاتِ تَـــرَوَّتْ
عِنْدَهَـــا المَجْـــدُ قَـــدْ قَضَىٰ أَوْطَـــارَه

15. وَحُبَيْبَـــاتُ رَمْلِهَـــا ذَهَـــبٌ يَنْـــ
ـــطِقُ بِالحَـــقِّ كَاشِـــفًا أَسْرَارَه

مُعْلِنًـــا أَنَّمَـــا السِّـــمَارَةَ أَرْضٌ
لَـــمْ تَـــزَلْ مَغْرِبِيَّـــةً بِجَـــدَارَه

حَـــلَّ فِيهَـــا مِـــنَ المُلُـــوكِ عِظَـــامٌ
كُلُّهُـــمْ ذُو بَرَاعَـــةٍ فِي الإِدَارَه

وَتَلَاهُـــمْ مُحَمَّـــدُ السَّـــادِسُ المَنْـ
ـــصُورُ بِـــاللهِ مَـــنْ سَـــبَتْ أَنْظَـــارَه

إِذْ أَتَاهَـــا فِي رِحْلَـــةٍ ذَاتِ صِيـــتٍ
فَاسْـــتَعِدْ ذِكْرَيَـــاتِ تِلْـــكَ الزِّيَـــارَه

20. شَـادَ فِيهَـا صَرْحًـا فَسِـيحًا جَلِيلًا
مَسْـــجِدًا وَاسِـــعًا عَلِيَّ المَنَـــارَه

مَسْــجِدٌ قَــامَ فِي الصَّحَــارِي يُنَــادِي
أَنَــا لِلْحُسْــنِ وَالفَخَامَــةِ دَارَه

أَهْلُهَــا بَايَعُــوا المُلُــوكَ قَدِيمًــا
بِيَــمِينٍ قَــدْ وَاصَلُــوا إِبْــرَارَه

وَوَلَاءٍ لِلْعَــرْشِ لَا شَــكَّ فِيــهِ
رَفَعُــوا فِي البِلَادِ فَخْــرًا شِــعَارَه

بَايَعُــوا صَاحِــبَ الجَلَالَــةِ قِدْمًــا
وَغَــدَوا دُوْنَ رِيبَــةٍ أَنْصَــارَه

25. خَدَمُـوا المَغْـرِبَ الشَّرِيـفَ قُرُونًـا
قَدَّسُــوا أَرْضَــهُ وَزَكَّــوْا غُبَــارَه

فِيهِـــمُ كُلُّ مَغْـــرِبِيٍّ غَيُـــورِ
يَفْتَـــدِي عَرْشَـــهُ وَيَحْمِي ذِمَـــارَه

سَـــادَةٌ قَـــادَةٌ ، سَـــرَاةٌ أُبَـــاةٌ
جَعَـــلَ العِـــزُّ فِي ذَرَاهُـــمْ قَـــرَارَه

لَيْـــسَ فِيهِـــمْ إِلَّا كَرِيـــمٌ مُـــعَلَّى
زَانَ حُسْـــنُ الأَخْلَاقِ مِنْـــهُ وَقَـــارَه

حَـلَّ فِيهِـمِ مِنْ نَسْـلِ عَبْـدِ الـسَّلَامِ بْـ
ـــنِ مَشِيـشٍ مَـنْ أُورِثُـوا أَسْرَارَه

30. وَاصْـطَفَى العِلْـمُ أَرْضَهُـمْ لِمُقَـامٍ
فَغَـــدَوْا مُـــذْ أَتَاهُـــمُ سُـــمَّارَه

مَـــا شَـــهِدْنَا إِلَّا بِمَـــا قَـــدْ عَلِمْنَـــا
إِذْ رَأَيْنَـــا فِي القَاطِـــنِينَ ثِمَـــارَه

حَيِّهِـــمْ إِنْ نَزَلْـــتَ يَوْمًـــا حِمَاهُـــمْ
وَاذْكُـــرِ اللهَ عِنْدَهُـــمْ فِي عِمَـــارَه

وَأْتِهِـــمْ تَلْـــقَ عِنْدَهُـــمْ رَوْضَ مَجْـــدٍ
يَانِعًـــا بِالكَمَـــالِ فَاسْـــمَعْ هَـــزَارَه

وَالْتَمِـــسْ ثَـــمَّ قَبْرَ كُلِّ وَلِيٍّ
ضَـــارِعًا عِنْـــدَهُ وَلَازِمْ مَـــزَارَه

35. صَافِهِـمْ وَاحْبُهُـمْ مِـنَ القَلْـبِ حُبًّا
صَادِقًـــا وَاسْـــقِهِمْ صَبَاحًـــا عُقَـــارَه

زُبْـــدَةُ القَـــوْلِ وَالكَلَامُ كَـــثِيرٌ
وَهُـــمُ أَهْلُـــهُ وَخَاضُـــوا بِحَـــارَه

إِنَّ أَهْـــلَ الصَّحْـــرَاءِ قَـــوْمٌ كِـــرَامٌ
لَهُـــمُ فِي الفَخَـــارِ أَعْلَى الصَّـــدَارَه

بَيْنَ كُثْبَانِهَـــا تَجَلَّـــتْ بِصِـــدْقٍ
هِمَـــمٌ فِي عَطَائِهَـــا زَخَّـــارَه

وَنُفُـــوسٌ لَـــمْ يُرضِهَـــا غَيْرُ عَـــرْشٍ
عَلَـــوِيٍّ أَعْلَى الإِلٰهُ مَنَـــارَه

40. لَـــمْ يَدِينُـــوا بِطَاعَـــةٍ لِسِـــوَاهُ
حَفِظُـــوا عَهْـــدَهُ ، رَعَـــوْا آصَـــارَه

نَجْـــدَةٌ نَخْـــوَةٌ ، عَفَـــافٌ وَصِـــدقٌ
كَـــرَمٌ قَـــلَّ أَنْ يُجَـــارَىٰ غَـــزَارَه

وَيَقُولُـــونَ : مَرْحَبًـــا ، مَـــنْ أَتَانَـــا
زَائِـــرًا دَارَنـــا نَكُـــنْ زُوَّارَه

نَحْـــنُ أَضْيَـــافُ ضَيْفِنَـــا ، وَهْـــوَ مِنَّـــا
دَارُنَـــا أَصْبَحَـــتْ مَـــدَى الدَّهْـــرِ دَارَه

جَمَعُـــوا مِـــنْ مَوَائِـــدِ المَجْـــدِ شَـــهْدًا
رَائِقًـــا فَائِقًـــا فَكُـــنْ مُشْـــتَارَه

45. إِنَّهُـــمْ صَفْـــوَةُ القَبَائِـــلِ ، غُـــرٌّ
طَاوَلُـــوا مَعْقِـــدَ النُّجُـــومِ فَخَـــارَه

عُـــدَّ مِنْهُـــمْ أَهْـــلَ العُيُـــونِ جَمِيعًـــا
إِذْ هُـــمُ لِلْوَفَـــاءِ خَيْرُ أَمَـــارَه

وَإِذَا مَـــا مَـــرَرْتَ فِي بُوجُـــدورٍ
قِـــفْ أَمَـــامَ الـــعُلَى مَـــعَ النَّظَّـــارَه

عَجَبًـــا إِنَّهَـــا تَمِيـــسُ دَلَالًا
بِمَنَـــارٍ يَفُـــوقُ كُلَّ عِمَـــارَه

حَـــوْلَهُ قَـــدْ زَهَـــتْ حَدَائِـــقُ غُلْـــبٌ
وَنَخِيـــلُ الصَّحْـــرَاءِ يُهْـــدِي اخْضِرَارَه

50. مَشْـــهَدٌ شَـــائِقٌ لِجَنَّـــةِ عَـــدْنٍ
قَـــدْ تَجَلَّـــتْ لِلْـــعَينِ دُونَ سِـــتَارَه

وَتَأَمَّـــلْ طَرْفَايَـــةَ الـــرَّأْسِ وَاقْـــرَأْ
بَعْـــضَ تَارِيخِهَـــا وَصُـــنْ أَسْـــفَارَه

إِنَّ فِيهَـــا مَـــزَارِعًا لِرِيَـــاحٍ
تُنْتِـــجُ الضَّـــوْءَ مُبْهِـــرًا بِمَهَـــارَهْ

مَوْئِـــلٌ لِلطُّيُـــورِ مِـــنْ كُلِّ صُقْـــعٍ
أَسْـــعَدَ اللهُ مَـــنْ حَمَـــاهُ وَزَارَه

ثُـــمَّ عَـــرِّجْ عَلَى الجَنُـــوبِ إِلَى الدَّا
خِلَـــةِ اليَـــوْمَ فِي خُطَـــى البَحَّـــارَه

55. وَاسْـــتَمِعْ لِلْمُحِيـــطِ يَشْـــهَدُ : (إِنِّي
مَغْـــرِبِيٌّ) ، وَاسْبُرْ بِـــذَا أَغْـــوَارَه

وَكَأَنَّ الأَمْـــوَاجَ إِذْ تَتَـــغَنَّىٰ
بِـــكَ يَـــا مَغْـــرِبَ الـــعُلَىٰ قِيثَـــارَه

وَحْـــدَةُ المَغْـــرِبِ الشَّرِيـــفِ صَـــوَابٌ
لَـــنْ يَـــرُدَّ التَّارِيـــخُ فِيهَـــا قَـــرَارَه

مَغْـــرِبٌ وَاحِـــدٌ بِـــهِ قَـــدْ فَخَرْنَـــا
وَافْتَرَشْـــنَا سُـــهُولَهُ وَقِفَـــارَه

وَعَشِـــقْنَا صَحْـــرَاءَهُ ، وَأَلِفْنَـــا
مَـــا حَيِينَـــا رِمَـــالَهُ وَحِجَـــارَه

60. وَسَـأَلْنَا هُنَـاكَ : مَـنْ مَـرَّ ؟ قَالُـوا :
إِنَّـــهُ المَجْـــدُ فَاتَّبَعْنَـــا مَسَـــارَه

وَوَقَفْنَـــا فِي گَرْگَـــرَاتٍ نُحَـــيِّ
جَيْـــشَ صِـــدْقٍ هُنَـــاكَ يَحِمِي جِـــدَارَه

هُـــمْ أُسُـــودُ الـــوَغَىٰ ، إِذَا جَـــدَّ جِـــدُّ
دَافَعُـــوا عَـــنْ بِلَادِهِـــمْ بِجَسَـــارَه

بِخَمِيـــسٍ عَرَمْـــرَمٍ ، لَا يُجَـــارَىٰ
ضَمِـــنَ الحَـــقُّ فِي النِّزَالِ انْتِصَـــارَه

جُنْـــدُهُ كُلُّ فَاتِـــكٍ لَيْـــسَ يَخْشَىٰ
فِي قِتَـــالٍ مِـــنْ أَنْ يَخُـــوضَ غِمَـــارَه

65. رَابِـــطُ الجَأْشِ عَابِـــسٌ مُكْفَهِـــرٌّ
فَلْيَخَـــفَ مَـــنْ بَغَىٰ عَلَيْـــهِ ازْوِرَارَه

وَرَجَعْنَـــا مُكَلَّلِينَ بِنُجْـــحٍ
وَاسْـــتَحَقَّ الحَادِي عَطَـــاءَ البِشَـــارَه

فِي ابْتِهَـــاجٍ مِـــنْ بَعْـــدِ رِحْلَـــةِ أُنْـــسٍ
بَـــثَّ فِيهَـــا تَارِيخُنَـــا أَخْبَـــارَه

مَـنْ رَأَىٰ بَعْـضَ مَـا رَأَيْنَـاهُ فِي الصَّحْـ
ـــرَاءِ لَا بُـــدَّ يُعْلِـــنُ اسْتِبْشَـــارَه

مُـــدُنٌ مَغْرِبِيَّـــةٌ وَرِجَـــالٌ
وَرِثُـــوا المَجْـــدَ وَالسَّرَىٰ بِجَـــدَارَه

70. وَعُقُـــودٌ تَلَأْلَأَ الدُرُّ فِيهَـــا
وَسِـــجِلُّ التَّارِيـــخِ ضَـــمَّ نِثَـــارَه

شَرَّف اللّٰهُ أَرْضَهُـــم بِانْتِسَـــابٍ
لِمَلِيـــكٍ قَـــدْ فَـــاقَ كُلَّ عِبَـــارَه

مَلِـــكٌ يَحْـــرُسُ البِلَادَ وَيَحْمِي
بِجُيُـــوشٍ جَـــرَّارَةٍ أَقْطَـــارَه

وَهْـــوَ لِلشَّـــعْبِ وَالِدٌ يَـــرْعَاهُ
يَكْفُـــلُ الدَّهْـــرَ عِـــزَّهُ وَازْدِهَـــارَه

قَـــدْ بَنَىٰ مَغْرِبًـــا قَوِيًّـــا عَزِيـــزًا
شَـــادَ بِالأَمْـــنِ وَالهُـــدَى اسْـــتِقْرَارَه

75. حَيْثُمَـــا سِرْتَ مُنْجَـــزَاتٌ تَجَلَّـــتْ
فِي رُقِيٍّ وَنَهْضَـــةٍ وَحَضَـــارَه

صَاحِبُ العِزِّ وَالجَلَالَةِ وَالهَيْـ
ـبَةِ ، مَا ثَمَّ مَنْ يَشُقُّ غُبَارَه

صَالِحٌ مُشْفِقٌ ، رَحِيمٌ عَطُوفٌ
بَارَكَ اللهُ بِالتُّقَىٰ أَسْحَارَه

مَنْبَعُ المَجْدِ وَالفَخَارِ ، إِمَامٌ
طَيَّبَ اللهُ فَرْعَهُ وَنِجَارَه

وَشَرِيفٌ مِنْ نَسْلِ طٰهَ رَسُولِ الْـ
ـلَّهِ ، فَانْظُرْ فِي وَجْهِهِ أَنْوَارَه

80. وَأَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا
مَا سِوَاهُ قَدْ حَازَ تِلْكَ الإِمَارَه

حَفَّـــهُ اللهُ بِـــالكَلَاءَةِ وَالحِفْـــظِ وَبِـــالنَّصْرِ لَيْلَـــهُ وَنَهَـــارَه

82. وَأَحَـــاطَ الإِلٰهُ بِالسَّـــعْدِ وَاليُمْـــنِ وَبِـــالخَيْرِ شَـــعْبَهُ وَدِيَـــارَه

محمد أبو الهدى اليعقوبي

- ولد في دمشق سنة 1382 / 1963 ويقيم الآن في المملكة المغربية.
- مدرس سابق في الجامع الأموي بدمشق.
- سليل عائلة شريفة من العلماء والأولياء ، من أصول مغربية قديمة.
- ألقى درسًا حسنيًّا أمام صاحب الجلالة نصره الله تعالى سنة 2012 بعنوان : الفتوى والقضاء في الإسلام .
- عضوٌ عامل في أكاديمية آل البيت الملكية للفكر الإسلامي ، عمَّان.
- من الشخصيات الخمسين الأكثر تأثيرًا في العالم *TheMuslim500.com*
- حصل سنة 2016 على لقب (سفير السلام) في سويسرا *https://aidlr.org/awards.php*
- له نشاط عالمي واسع في تعليم العلوم الشرعية ونشر الطريقة الشاذلية.
- شارك في عدد من المؤتمرات الدولية منها : قمة رؤساء الدول لمكافحة التطرف في الأمم المتحدة 2015
- تخرج على يديه العديد من الأئمة والمدرسين في القارات الأربع.
- يتحدث الإنجليزية والسويدية بطلاقة ، وملم بالفرنسية والألمانية.
- تلقى العلوم الشرعية والعربية على يد والده العلامة إبراهيم اليعقوبي رحمه الله ، وحصل على الإجازة العلمية وعددٍ من الإجازات في الحديث الشريف.
- خطيب جامع الحسن بدمشق 2008-2011
- مدرس في الجامع الأموي وجامع الشيخ محيي الدين ابن عربي 2006-2011
- عضو لجنة إصلاح المعاهد الشرعية سورية 2010
- عضو لجنة الإشراف على التأمين التعاوني بوزارة المالية في سورية 2011

- مساعد المدير للدراسات والبحوث، دار الآثار الإسلامية، الكويت 1998-2000
- مفتي المسلمين في السويد، وإمام الجالية الإسلامية في غوطبورغ 1995-1996
- مدرس وباحث في معهد اللغات الشرقية بجامعة غوطبورغ 1991-1996
- مدرس ديني في إدارة الإفتاء بدمشق سنة 1986-1990
- خطيب جامع الطاووسية بدمشق 1981-1990

من مؤلفاته المنشورة:

- أحسن المحاضرة في آداب البحث والمناظرة
- الأربعون الأواخر: في الحديث الشريف
- التسعير في الفقه الإسلامي
- حسن الفهم لمسألة القضاء بالعلم
- شفاءُ القلوب في الصلاة على الحبيب المحبوب ﷺ
- شمائل الحبيب المصطفى
- فقه السلام : تحقيقات في أحكام الصلح مع العدو
- المدخل إلى صحيح البخاري

- Refuting ISIS
- The Moroccan Revelations

من أعماله الشعرية المنشورة:

- الأنوار المحمدية تشطير الكواكب الدرية (تشطير البردة)
- توشيح البردة : في إنجازات صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله
- الفتوحات المغربية في مدح خير البرية ﷺ
- قصة أسود الأطلس : بمناسبة العودة المظفرة لفريق المغرب لكرة القدم
- معلقة المغرب : في مآثر صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله
- مغاني ربي الأسماء : في الأسماء النبوية والصفات المحمدية

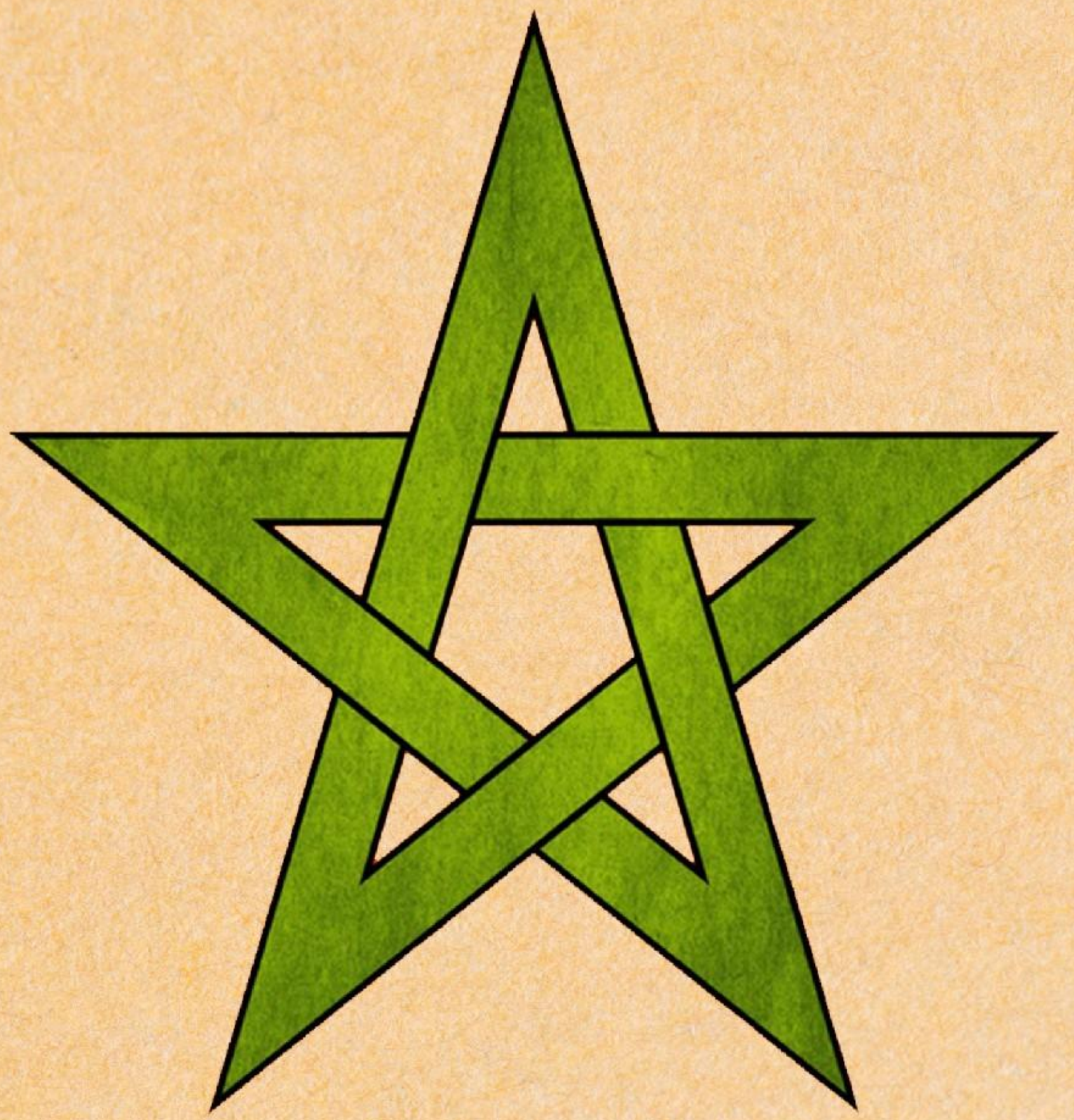

مدينة السمارة والصحراء المغربية